Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد تكرر « العقل » فى هذا النص مرتين ، وفهم ضمنا مرة ثالثة ، فى حين أن « الحدس » وقد ذكر مرة واحدة – هو الكلمة المناسبة . إن عمل العقل يأتى تاليا للحظة الكشف التى تتم عبر رؤية غير زمنية تلمح وحدة المنبع وإن اختلف المصب ، ثم يتجلى دور العقل فى إحكام الصياغة ليدل بأقوى طريقة على حدث غير مشوب . والحق أن عبد القاهر لو أتيحت له مراجعة ما كتب لتبين له ما وقع فيه من تناقض فى مبحث التشبيه خاصة . سنحمد له اهتمامه بالتشبيه التمثيلى ، ولكن لغير السببين اللذين أرجع إليهما تأثيره القوى :

« فأول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفى إلى جلىّ ، وتأتيها بصريح بعد مكنى ، وأن تردها فى الشىء تعلمها إياه إلى شىء آخر هى بشأنه أعلم ، وثقتها به فى المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس ، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر فى القوة والاستحكام »[٣١] .

أما السبب الثانى : « وضرب آخر من الأنس وهو ما يوجبه تقدم الألف . . ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولا عن طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة النظر والروية ، فهو إذن أمس بها رحما . . وأقدم لها صحبة ، وإذا نقلتها فى الشىء بمثله عن الدرك بالعقل المحض ، وبالفكرة فى القلب ، إلى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع ، وعلى حد الضرورة ، فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم ، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم ، فأنت إذن مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى فى نفسك غير ممثل ، ثم مثلته ، كمن يخبر عن شىء من وراء حجاب ثم يكشف عنه الحجاب ويقول : هاهو ذا ، فأبصره تجده على ما وصفت » .

أما سبب إعجابنا بالتشبيه التمثيلى ، فهو المسوغ الثالث الذى ذكره عبد القاهر دون أن يقصد فى مكان آخر ، فالحق أن التشبيه التمثيلى يعتبر أقصى امتداد للصورة البلاغية – عند عبد القاهر وغيره – ومن ثم يمكن اعتباره أطول تركيب لجملة بلاغية ، فهو أقرب « وحدة » جزئية إلى مفهوم الأسلوب أو « التأليف » كما يسميه عبد القاهر ، والمتعة الذهنية تتأتى للقارئ من إعمال فكره فيما يقرأ ، وتنبهه المستمر وربطه لما مضى بما هو آت : « إن المعنى إذا أتاك ممثلا فهو فى الأكثر ينجلى لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة ، وتحريك الخاطر له ، والهمة

(٣١) أسرار البلاغة ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .